وضعُ الظاهرِ موضعَ المُضمرِ وفوائدُه البيانيّة في القران الكريم دراسة تطبيقية في ضوء أقوال المفسّرين (نماذج مختارة)

ا.م.د ضحى محمد صالح

dhuha.salih@aliraqia.edu.iq

كلية التربية للبنات – الجامعة العراقية

Substituting the Overt Noun for the Pronoun and Its Rhetorical Functions in the Holy Qur'an: An Applied Study in Light of Exegetical Interpretations (Selected Examples)

Dr. Dhuha Mohammed Salih
Al-Iraqia University - College of Education for Women

المستخلص باللغة العربية

يعدّ وضع الظّاهر موضع المُضمر من مظاهر إعجاز القرآن؛ لما ينطوي عليه من أسرار بلاغية دقيقة، اذ يقتضي ظاهر الكلام الإضمار –أي الاتيان بضمير– ثم يعدل النّظم القرآني إلى الإظهار؛ ليحقق غرضا بيانيا ينسجم مع السياق ومقام الخطاب. فهو عدول عن مقتضى الظاهر الى أساليب أدق وأبلغ، تحقيقا لمقاصد معنوية وبيانية لا تؤديها التراكيب المعتادة .

أما فوائده ومقاصدة البلاغية فقد تعددت وتنوعت في القران الكريم، فتارة يكون الإظهار للتعظيم وتارة للتشريف أو لزيادة التقرير والتوكيد أو لرفع الإبهام واللبس، أو للإشعار بعلّية الحكم وغيرها من المقاصد والفوائد التي تتعدد ولا يتبين وجهها إلا بالنظر الى السياق، والرجوع الى أقوال المفسرين الذين عنوا بالبيان القراني ونظمه، وكشفوا عن أسراره في مصنفاتهم، وربطوا بين اللفظ وبين المقصد الذي سيق فيه الكلام.

الكلمات المفتاحية:

الظّاهر، المُضمَر، الفوائد البلاغية، التفسير، السياق

Abstract

Replacing a pronoun with an explicit noun is a miraculous aspect of Quranic rhetoric. The Quran deliberately makes this shift to achieve precise rhetorical goals that standard phrasing cannot convey, perfectly matching the context of the speech.

This stylistic choice serves various purposes in the Quran, such as expressing glorification, adding emphasis, removing ambiguity, or explaining the reasoning behind a ruling. The profound meaning of this technique can only be understood by examining the context and consulting the interpretations of scholars who study Quranic rhetoric to reveal the deep connection between the chosen words and their intended purpose.

Keywords:

Explicit Noun, Pronoun, Rhetorical Benefits, Exegesis, Context .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل الكتاب بلسان عربي مبين، وجعله معجزة باقية الى يوم الدين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح العرب لسانا، وأبلغهم بيانا، الذي أوتي جوامع الكلم، وعلى آله وصحبه أرباب الفصاحة والنّظم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد..

فإنّ اللهَ تعالى قد خصّ اللغةَ العربية بأن جعلها وعاءً لكتابه العزيز قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ ﴾ [يوسف:٢]

فاللسان العربي أفصح الألسنة وأوسعها وأقومها وأعدلها، فكانت بذلك أشرف اللغات وأوسعها دلالة، وأدقها تعبيرا وأغزرها أساليبا. وقد بلغت في القرآن الكريم الذّروة في إحكام النظم وتناسق الألفاظ وانسجام التراكيب حتى غدا كل لفظ فيه موضوعا في مكانه الذي لا يصلح غيره له وفق حكمة بيانية بالغة تشهد بإعجازه، وتدلّ على أنّ هذا الكتاب تنزيل من حكيم حميد، قال ابن عطية :"كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد "(ابن عطية، ١٤٢٢، ١/ ٥٢)

فليس اللفظ في القرآن كما في غيره، فكل لفظة تكاد تكون آية، إذ تحمل معنى وتومئ إلى معنى و تستتبع معنى، وهذا ليس في طاقة البشر، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ ﴾ [هود :١]

إنّ قوة الإشعاع القرآني في التعبير، وتعدد صوره هو الذي أعجز العرب أن يأتوا بمثله، فهو أسمى من أن يدرك في حاسة. لقد منحه المنشئ سبحانه وتعالى صورا

وإشراقا وإعجازا يذهب في تأويله المتأولون مذاهب شتى؛ لأنّه ينزل في أحوال النفس منازل، ثم يدع العقل بعدها ينطلق متأملا في معانيه المترامية .

ومن مظاهر إعجاز هذا النظم البديع، ما اشتمل عليه من ظواهر أسلوبية عدل فيها عن مقتضى الظاهر الى أساليب أدق وأبلغ، تحقيقا لمقاصد معنوية وبيانية لا تؤديها التراكيب المعتادة، ومن هذه الظواهر: (وضعُ الظّاهر موضعَ المُضمر) وهو أسلوب استوقف البلاغيين والمفسّرين قديما وحديثا لما ينطوي عليه من أسرار دقيقة، اذ يقتضي ظاهر الكلام الإضمار–أي الاتيان بضمير– ثم يعدل النظم القرآني إلى الإظهار؛ ليحقق غرضا بيانيا ينسجم مع السياق ومقام الخطاب. ولهذا الأسلوب فوائد بيانية تعددت وتنوعت في القران الكريم، فتارة يكون الاظهار للتعظيم وتارة للتشريف او لزيادة التقرير والتوكيد أو لرفع الإبهام أو للإشعار بعليّة الحكم وغيرها من الفوائد والمقاصد والأغراض والتي لا يتبين وجهها الا بالنظر الى السياق والرجوع الى أقوال المفسرين الذين عنوا بالبيان القراني ونظمه، وكشفوا عن أسراره، وربطوا بين اللفظ وبين المقصد الذي سيق فيه الكلام .

سبب اختياري الموضوع، هو حبي للعربية وللقرآن، وكان من دواعي هذا الحبّ أن أبرز جانبا من جوانب الإعجاز البياني النظمي في كلام الله تعالى، ولطالما أحدث عندي هذا الانعطاف التعبيري وقفة وهزّة وأنا أتلو كتاب الله .

إنمازت دراستي بإبراز أقوال المفسرين الذين عنوا بهذا الأسلوب البلاغي، فكانت دراسة تطبيقية في مصنفات التفسير، توازن بين توجيهات المفسرين وتستخلص الفوائد البيانية التي يحققها هذا الأسلوب في السياقات القرآنية المختلفة .

تمثلت مشكلة البحث في الكشف عن أثر(وضع الظاهر موضع المضمر) في إثراء الدلالة القرآنية لدى علماء التفسير، واستجلاء أسراره البيانية في ضوء السياق القرآني، ويمكن صياغة الإشكالية من خلال التساؤلات الآتية:

أولا: ما الفوائد البيانية التي حققها وضع الظاهر موضع المضمر؟ وما هي أشكاله في القرآن الكريم ؟

ثانيا: كيف وجّه المفسرون هذه الفوائد بيانيا في ضوء السياق القرآني؟

ويتفرع عن هذين السؤالين التساؤلات التالية:

أ) ما مفهوم وضع الظاهر موضع المضمر في اصطلاح البلاغيين والمفسرين؟

ب) ما أبرز الأغراض البيانية التي يحققها هذا الأسلوب البياني في ضوء أقوال المفسرين؟

ج) ما أثر السياق القرآني في توجيه هذه الفوائد ؟

يهدف البحث إلى إبراز دقة الأساليب القرآنية في إثراء المعاني وبيان أثر السياق في توجيه الدلالة.

أما منهج البحث فقد اعتمدت على المنهج الاستقرائي في جمع الأمثلة القرآنية، والمنهج التحليلي في استعراض أقوال المفسرين ودراستها في سياقها .

وقد اقتصر البحث على أمثلة مختارة من القرآن الكريم أفادت المادة المدروسة والتي مثلت أشهر أغراض الاظهار في موضع الإضمار، وكان قد أشار إليها قدامى

المفسرين والبلاغيين كالإظهار للتعظيم والتشريف، ولرفع الإبهام، وللتوبيخ ، وللإشعار بعلة الحكم.

اقتضى البحث أن يكون على ثلاثة مباحث :

المبحث الاول وكان عن المفاهيم الأساسية لمصطلح المضمر والظاهر في وضع اللغة ووظائفه الدلالية والأسلوبية.

و المبحث الثاني فعن: الأسس البلاغية في وضع الظاهر موضع المضمر وفوائدها عند أهل التفسير.

أما الثالث فكان عن الأغراض والفوائد البلاغية من وضع الظاهر موضع المضمر وعلاقتها بالسياق.

ثم الحقتها بخاتمة فتوصية فثبت للمصادر والمراجع باللغتين العربية والإنكليزية

والله أسال أن أكون قد وفقت في إبراز جانب من جوانب هذا الأسلوب الفذ والاستدلال عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المبحث الاول: المفاهيم الأساسية لمصطلح المضمر والظاهر في وضع اللغة ووظائفه الدلالية والأسلوبية

لو قلنا أن العربية هي لغة التعبيرعن الشعور الإنساني بأبلغ لفظ وأجزله وأقربه الى الوجدان؛ لما كان هذا مبالغا فيه، فالأساليب البلاغية التي كان العرب يتحدثون بها سليقة، لها الأثر البالغ في أذن المتلقي، فكان لسلاستها وعذوبتها وعدم وحشيتها أثر في حفظها نثرا وشعرا .

ونعني **بالأساليب البلاغية:** الوسائل التعبيرية التي يوظفها المتكلم لإيصال المعنى بأدقّ عبارة وأجزل لفظ، بما يحقق تأثيرا واقناعا وإمتاعا لدى المتلقي، فلا تقتصر على زينة لفظية، بل تؤدي وظائف أخرى معنوية ودلالية ونفسية. وإنما وضعت الألفاظ لخدمة المعاني.

وهذا يشمل مختلف الأساليب البلاغية في علوم البلاغة الثلاثة: المعاني والبيان والبديع؛ فعلم المعاني من علوم البلاغة التي تبحث عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال ومن أساليبه الخبر والانشاء، الإيجاز والاطناب والمساواة، الفصل والوصل ،التقديم والتأخير، والذكر والحذف.

ويعدّ وضع الظاهر موضع المضمر من قبيل فن الإطناب، وهو من إطناب الزيادة(التهانوي ،١٩٩٦، ١ /٢٢٥)

او ما يُسمى عند البلاغيين: العدول عن مقتضى الظاهر؛ لأن العدول من غير نكتة تقتضيه هو خروج عن تطبيق الكلام لمقتضى الحال (العباسي، ١/ ١٨٠)

ومقتضى الظاهر أن يؤتى بالضمير بعد ذكر المرجع؛ لأنّ الأصل في وضع الضمائر في اللغة إنما كان للاختصار، ولتقليل طول الكلام الذي يتحصل بتكرار الأسماء الظاهرة (حبنكة، ١٩٩٦ ،٢/ ٩٨)

وقد يعدل المتكلم عن المضمر الى الاسم الظاهر لغرض بلاغي مقصود فلا يحتاج فيه الى ما قبله ولهذا يمكننا تعريفه–أي الظاهر– بأنه إظهار اللفظ بدل إضماره فلا يحتاج فيه إلى ما قبله ، وكأنه لم يسبق قبله كلام (الصعيدي، ٢٠٠٥ م، ٢/ ٢٩٧)

المطلب الأول : الفرق بين المُضمر والحذف والظّاهر في اللّغة والاستعمال

معنى المُضْمَر: الضاد والميم والرّاء أصلان صحيحان أحدهما يدلّ على دقّة في الشيء، والثاني يدلّ على غيبة وتستر.

فمن الأول قولنا ضَمِر الفرس ضُمورا، إذا خفّ لحمه وكان هزيلا، ورجل ضَمير أي خفيف الجسم(ابن فارس ،١٩٧٩م،٣/٣٧١).

ومن الثاني الضِمار: وهو المال الغائب الذي لا يُرجى، وكلّ شيء غاب عنك فهو ضِمار، ومنه قولهم أضمرتُ له عداوة أو أضمرت حبّا؛ لأنّه يغيّبه في صدره وقلبه، يقال: هوىً مُضْمِر وضَمْر،أي خفيّ(الزبيدي،١٢/٤٠٥) (ابن سيدة،٢٠٠٠، ٨/ ١٩٩). قال طُريح:

بِهِ دَخِيلُ هَوًى ضَمْرٍ إِذَا ذُكِرَتْ

سَلْمَى لهُ جَاشَ فِي الأَحْشَاءِ والْتَهَبَا

وفي النحو والإعراب المُضْمَر هو: الضَّمير سواء كان منفصلا أو متصلا، متكلما كان أو غائبا أو مخاطبا، وهوعلى قسمين بارز ظاهر، وآخر مستتر ليس له صورة في اللفظ، بل يقدّر في الذهن (الصّبان،١٩٩٧م، ١/١٧١).

وعليه فالمعنى الأبرز للمُضمر هو الخَفيّ والمستتر، أما في علم النحو العربي فيقصد منه الضَّمير الذي ذكرناه آنفا.

الفرق بين الإضمار والحذف:

فرّق البلاغيون بين الإضمار وبين فن الحذف وإن كان كلاهما يشتركان في عدم التصريح بالاسم الظاهر وفي الاختصار، فالإضمار هو الإتيان بضمير يعود على اسم سبق ذكره أو دلّ عليه السياق، فاللفظ موجود لكنه عدل عن تصريحه إلى إضماره؛ لئلا تتكرر الألفاظ وتثقل على السمع.

أما الحذف فهو إسقاط لفظ من الكلام أو الجملة ولابد فيه من خلف؛ ليستغني به عن المحذوف وهذا الخلف قرينة تدل على المحذوف (العسكري،١٤١٢، ١/ ١٧٩)، ويدلنا عليه السياق، إذن لا بد أن يكون هنالك قرينة تدلّ على وجود محذوف. وهنا ينماز الإضمار عن الحذف، ففي حال الحذف؛ اللفظ غير موجود أصلا والغاية الاختصار والإيجاز أو غيرها من الأغراض، ونشير هنا إلى أن البليغ لايحذف الكلام لمجرّد التخفيف، وإنّما لغرض بلاغي يقتضيه المقام، فقد يضطر إلى ذلك في شعر ونحوه، ولكن في اختيار الكلام لايفعل ذلك لمجرد التخفيف. (السامرائي،١/٢٣٠) (ضحى صالح، ٢٠٢٦)

فأسلوب (وضع الظاهر موضع المضمر) ليس من باب الحذف؛ لأن الكلام لم يحذف منه شيء، وإنما استعمل الظاهر بدل الضمير لغرض بياني مقصود، وهذا ما جعل البلاغيون يعدّونه من مباحث الإطناب الذي هو فن من فنون علم المعاني

معنى الظَّاهر: الظاء والهاء والراء أصل صحيح يدل على قوة وبروز، نقول ظَهَر الشيء يظهرُ ظُهورا فهو ظاهرٌ، اذا انكشف وبرز، ومنه تسمية وقت الظُهر والظَّهيرة؛ لأنّ النّهار يكونُ أضوءَ ما يكون فيها(ابن فارس ،١٩٧٩، ٣ / ٤٧١)

والظُّهور: الغَلبة، قال تعالى: ﴿ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤ ﴾ [الصف: ١٤] أي ظهروا على من كفر بعيسى عليه السلام، وأصبحوا عالين على أهل الأديان(الواحدي، ١٤٣٠هـ، ٢١/ ٤٤١).

فالظّاهر هو الغالب، و ظهر عليه: غلبه، وظهر به أي غلب بسببه وبإعانته(ابن عاشور، ١٩٨٤، ٢٨ /٢٣)

وفي النحو: مو ما دلّ بظاهره وإعرابه على المعنى المراد به دون حاجة إلى قرينة التكلم أو الغيبة أوالخطاب(بابشاذ،١٩٧٧م، ٢/ ٤٢٥) ، وهو على عكس المُضْمر أو الضَّمير.

وعليه فالمعنى الأساس للظاهر هو الواضح الجلي البارز على عكس الباطن والمُضمر.

فالإضمار هو استبدال الاسم الظاهر بضمير يعود إليه لسبق ذكر له.

والإظهار– موضوع بحثنا– هو العدول عن الضمير إلى اسم ظاهر لغرض بلاغي مقصود.

مثال على الظاهر والمُضمر

قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١٥٦ ﴾ [ال عمران : ١٥٦] فلفظ الجلالة في الأية (وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ) ظاهر؛ لأن الأصل أن يعود بضمير.

ومثال المُضمر في قوله تعالى﴿ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٢٧﴾[الشورى :٢٧] قوله (ينزّل) فاعله "لفظ الجلالة" مستتر تقديره هو، وكذلك الهاء في(إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ) تعود إلى لفظ الجلالة الذي تقدم.

وفي البلاغه إذا ذكر الاسم، فإنّ الأصل أن يؤتى بالضمير، تقول: قام زيد فتبعته، فإن قلت : قام زيد فتبعت زيدا، فقد عدلت عن الإضمار الى الإظهار وهذا ما نعنيه في وضع الظاهر موضع المضمر أي تكرار اللفظ نفسه أو تكراره بمعناه، وهذا الضرب بلاغي، له أغراض خاصة.

أما الحذف فمثاله في قوله تعالى :﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨ ﴾[الزلزلة ٧-٨]

إذ يُفهم المحذوف من سياق الكلام، والمعنى : فمن يعمل من السّعداء مثقال ذرّة خيرا يره، ومن يعمل من الأشقياء مثقال ذرّة شرا يره (الرازي، ١٤٢٠هـ، ٣٢/ ٢٥٧).

ومن الحذف قوله تعالى:﴿ وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ﴾ [يوسف: ١٩]

ففي الكلام حذف تقديره: فتعلّق يوسف بالحبل؛ فلمّا بصر به المُدلي قال: يا بشراي (ابن عطية، ١٤٢٢هـ، ٢٣٧/١٩)

المطلب الثاني : وظيفة الظّاهر في الجملة العربية

تنقسم وظيفة الظاهر في الجملة العربية على قسمين رئيسين:

الأول: المستوى التركيبي النحوي

والثاني : المستوى الدلالي الأسلوبي –وهذا ما يعنينا– وفيما يأتي بيان لهذين المستويين:

ففي مستوى الوظائف التركيبية النحوية يعد الظاهر أصلا في الأسماء لذا نجده ينماز بمرونة عالية تجعله قادرا على التنقل في التركيب النحوي سواء كان جملة اسمية أو فعلية، وهذه المواقع كالآتي:

أ)العُمَد : ونعني بها أركان الإسناد ، مسند ومسند إليه، وهي التي لاتكتمل الجملة العربية من دونها، وحقّه أن يكون معرفة، لأنّه المحكوم عليه الذي ينبغي أن يكون معلوما، ليكون الحكم مفيدا، ويكون تعريفه إمّا بالإضمار وإمّا بالعلمية (الهاشمي،٢٠١٣م،ص١٣٣)، ويقع فيها الاسم الظاهر:

– مبتدءا، إذ يكون مسندا إليه ، كقول الله تعالى:﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [النور:٣٥] وقوله :﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]

– خبرا، ويمثل المسند الذي تتم به فائدة الكلام قال تعالى :﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩]

- فاعلا وهو المسند إليه الذي قام بالفعل ، قال تعالى: ﴿ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧﴾ [إبراهيم: ٢٧]

– نائب فاعل، وهو ما ناب عن الفاعل في حال بناء الفعل لما لم يسم فاعله نحو قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ [البقرة:١٨٣]

ب)الفضلات، وهي العناصر التي تزيد المعنى تفصيلا، وغالبا ما تكون منصوبة، كالمفاعيل الخمسة، ومكملات بيان الهيئة والذات، المتمثلة في الحال والمستثنى والتمييز.

ج)التوابع، إذ يقع فيه الاسم الظاهر نعتا (صفة) أو بدلا أو توكيدا معنويا أو يكون معطوفا.

د) المجرورات، ويكون فيها الاسم الظاهر مجرورا بالإضافة أو بحرف الجر.

ثانيا : وظائف دلالية وأسلوبية

وهذه الوظائف التي يؤديها الاسم الظاهر لا تقتصر على ملئ الفراغ التركيبي؛ إنما يكون له الأثر البالغ في توجيه المعنى، ويمكن تلخيص هذه الوظائف بالآتي:

أ)التعيين: ونعني به تخصيص الشيء بما يميّزه عن غيره تمييزا يمنع انصراف الذهن الى سواه، بخلاف الضمير الذي يحتاج إلى عائد يفسّره.

ب)الإظهار في مقام الإضمار– وهو موضوع بحثنا –أو ما يسمى بالعدول الأسلوبي، فقد يقتضي السياق استخدام الضمير، لكن المتكلم يعدل عنه الى الاسم الظاهر؛ لاغراض بيانية مقصوده، منها :

١)التعظيم والإجلال: نحو قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وإظهار لفظ الجلالة في الجمل الثلاث المتوالية كان القصد أن تكون كل جملة مستقلة الدلالة بذاتها، غير محتاجة إلى غيرها المشتمل على ضمير، حتى إذا سمع السامع كل واحدة منها، تحصّل له علم مستقل،

وقد لا يسمع إحداها فلا يضرّه ذلك في فهم أخراها، والتكرير هنا هو تكرير مستحسن يقع على طريق التعظيم في جمل متواليات، كل جملة منها مستقلة بنفسها، وكان لإظهار لفظ الجلالة نكتة أخرى زيادة على التعظيم وهي التهويل(ابن عاشور، ١٩٨٤، ٣/ ١١٨)

٢) قصد الإهانة والتحقير نحو قوله تعالى: ﴿ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٩ ﴾ [المجادلة: ١٩]

٣) تعظيم الأمر، نحو قوله تعالى:﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ١٩ ﴾ [العنكبوت: ١٩]

٤) دفع اللبس وإزالته حيث يوهم الضمير أنه غير الأول، فيأتي الظاهر ليزيل هذا اللبس المتحصل(السيوطي، ٢٠٠٧، ص٤١٦)

٥) زيادة التقرير والتمكين في ذهن السامع، وهذا ما نجده في الآيات المحكمة وأولها آيات التوحيد، نحو قوله تعالى :﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ ﴾ [الإخلاص:١-٢] فلم يستخدم ضمير الفصل فيقول:هو الصمد؛ لتقرير توحيد الله وإفراده في الأذهان، ولا يخفى أثره على سامع في تقوية المعنى العقدي.

المبحث الثاني: الأسس البلاغية في وضع الظّاهر موضع المُضمر وفوائدها عند أهل التفسير.

يعدّ العدول بوضع الظاهر مقام المضمر أسلوبا من أساليب القرآن العظيم واللسان العربي الذي نزل به القرآن وهو من أرفع وجوه البلاغة والبيان، فالأصل في الكلام أن يعبّر عن الظاهر باسم ظاهر، وعن المعهود أو المسبوق بذكر بالضمير أو المُضمر؛

طلبا للايجاز، إلا أن العدول عن هذا الاصل في وضع الظاهر موضع المضمر ليس مجرد تزيين لفظي إنما هو أسلوب بلاغي يحيل المعنى من خبر عادي الى أبعاد بيانيه ودلالية.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن الظاهر في كتاب الله –بحسب استقراء الباحثة– جاء على اثنتين :

الاول: يتعلق بلفظ الجلالة "الله" او "الرّب" أو أسماء الجلال .

الثاني: يتعلق بألفاظ متنوعة من ألفاظ الوحي جاءت في سياقات مختلفة على ظاهرها؛ لغرض بياني مقصود.

لذا فقد تختلف الفوائد البلاغية في وضع الظاهر موضع المضمر بحسب المقام والغاية التي يقصدها المتكلم، ومن أهم هذه الفوائد ما سنعرضه في المطالب الآتية:

المطلب الأول: الفائدة العقدية

أولا: في مقام الرّب

أ) **إبراز صفات الله تعالى وتعظيمه**، وهذا ما يتعلق بالله جل شأنه، فإن العدول من الضمير إلى لفظ الجلالة يحمل فوائد بلاغية عظيمة؛ كالتعظيم وإلقاء المهابة في قلوب السامعين، وابراز كمال صفاته الإلهية، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره المفسرون في سورة الإخلاص:﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ ﴾ [الاخلاص:١-٢]

فالسرّ البياني في تكرار لفظ الجلالة بدلا من الضمير جاء لتعظيم شأن الله تعالى وللتأكيد على أن كل آية من آيات السورة مستقلة بذاتها في إثبات كماله عز وجل، كما أن استشعار اسم الله الذي يرتبط بالصمدية يزرع في النفس المهابة ويربّي فيها اليقين فهو المصمود إليه المقصود في الحوائج، وذلك يدل على أنه الغني، وأنه ليس فوقه أحد.(السامرائي،٢٠١٧م،١/ ٨٤)

ب) **إثبات الألوهية** وأنه الهادي لخلقه إرشادا وتوفيقا، قال تعالى:﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٣٥ ﴾ [النور: ٣٥] فهذه الجمل الثلاث الاخيرة معترضة أو تذييل للتمثيل، والمعنى: دفع التعجب من عدم اهتداء كثير من الناس بالنور الذي أنزله الله وهو القرآن والإسلام، فإن الله إذا لم يشأ هداية أحد خلقه، جبله على العناد والكفر. فجملة (وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ) تذييل لمضمون الجملتين قبلها، أي لا يعزب عن علمه شيء، ومن ذلك علم من هو قابل للهدى ومن هو مُصرّ على غيّه، وهذا تعريض بالوعد للأولين والوعيد للآخرين (ابن عاشور، ١٩٨٤م،١٨/٢٤٤)

وهنا نلحظ أن الوقع بتكرار لفظ الجلالة على أُذن ونفس المتلقي لايكون أبلغ إلا إذا كان ظاهرا.

ج) **إبراز لفظ الجلالة للتأكيد على الإحاطة والعلم،** قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٢٠ ﴾ [غافر:٢٠ فكان الأصل : إنه سميع بصير، لأنّه يعود على مذكور تقدمه، وفي عدوله الى الظاهر تقرير بأنّ الله رقيب على عباده، يعلم ما تكنّه صدورهم وما يظهرون، وفيه تربية على المهابة وتعظيم شأن المتحدَّث عنه.

د) إبراز لكمال المشيئة والقدرة نحو قوله تعالى :﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ٢٥٣ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وكان الأصل مجيء المضمر فيكون: ولكنه يفعل ما يريد، فعدل عن الضمير إلى لفظ الجلالة، فقال: (وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ) ولعل السرّ البياني في العدول الى الاسم الظاهر يتجلى في حصر المشيئة بالله عز وجل، مع إبراز صفة الجبروت التي لا تليق إلا بهذا الاسم العظيم، وفيه إدخال الروع في ضمير السامع وتربية المهابة وتقوية داعي المأمور.

هـ) إثبات العزّة والقوّة نحو قوله تعالى: ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج :٧٤] المعنى: ما عظموه حق تعظيمه إذ أشركوا معه الضعفاء العُجّز وهو الغالب القويثم أعلم بعد ذكره ضعف قوة المَعْبُودِين قوّته، فقال: (إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)(الزّجّاج، ١٩٨٨م،٤٣٨/٣)

وكان الأصل أن يقال: إنّه قوي عزيز، فعدل عن المضمر إلى التصريح بلفظ الجلالة وتكراره؛ ليتقرر في الأذهان أن الاسم العظيم "الله" هو المتفرد بصفات القوة والقهر والغلبة، وهذا العدول أبلغ في التعظيم من استعمال الضمير في هذا المقام.

ثانيا : في مقام النبي العبد

أ) إبراز معنى الرسالة المحمدية وبيان شرفه صلى الله عليه وسلم في العدول باللفظ إلى الظاهر

ففي بيان الإيمان برسالة النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]

تجد أن اسم الرسول صلى الله عليه وسلم قد أعيد ذكره في قوله (فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ) وكان الأصل: فآمنوا بالله وبي، فعدل عن هذا الأصل إلى ما عليه النظم الكريم، إبرازا لمعنى الرسالة، وإشعارا بأنّ الإيمان المأمور به ليس بذات النبي صلى الله عليه وسلم، وإنّما برسالته، فنحن لم نؤمر بالإيمان بذات محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكننا مأمورون بأن نؤمن به رسولا نبيا أميّا يؤمن بالله وكلماته، فوضع الاسم الظاهر موضع الضمير في الآية الكريمة قد أشعر بهذا، ومكّن من إجراء الصفات المذكورة على الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله:(وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ).(فيّود،٢٠٠٨م، ص١٤٠)

ب) بيان شرفه صلى الله عليه وسلم بعبوديته لله قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الجن: ١٩] والمقصود بعبدالله هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وضع الاسم الظاهر موضع المضمر إذ مقتضى الظاهر أن يقال: وأنه لما قمت تدعو الله أو لمّا قمت أدعو الله كادوا يكونون علي؛ ولكن عدل إلى الاسم الظاهر بقصد تكريم النبيء صلى الله عليه وسلم بوصف عبد الله لما في هذه الإضافة من التشريف بوصفه عبد لله .

(ابن عاشور،١٩٨٤م،٢٩/٢٤٢)

ج) **بيان شرفه بالإقسام ببلده صلى الله عليه وسلم،** قال تعالى: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ ﴾ [البلد: ١ – ٣]

فالقسم هنا إنما وقع بقوله: أقسم بهذا البلد، ووالد وما ولد، وليس قوله: (وأنت حل بهذا البلد) مما وقع به القسم بوجه، وإنما هي جملة اعتراض، سيقت بياناً لعظم قدره صلى الله عليه وسلم، وأن هذا البلد العظيم حرمةً، أحلّ له ولم يحلّ لأحد غيره، فكأنه قد قيل: أقسم بهذا البلد العظيم لدينا وقد حللناه لك على عظم قدره، فكرّر(هذا البلد) لما في هذا المعنى من تعظيمه، ولما فيه من التنبيه والتحريك، فسيقت هذه الجملة اعتراضاً وكلاماً قائماً بنفسه، وهي ليست من المقسم به في شئ، وإذا تباين الكلام بجهة ما لم يستثقل فيه إعادة الظاهر؛ وضح أن الآية واردة على أعلى وجوه البلاغة وأفصح الكلام، وأنه لو جئ هنا بالمضمر مكان الظاهر لم يكن بوجه.

(ابو جعفر الغرناطي،٥٠٧/٢)

المطلب الثاني :الفائدة الدلالية، ونعني بها وضوح المعنى ودقّة الإحالة

إنّ الغرض من الضمير هو الدلالة على المراد مع الاختصار (عباس حسن، ١٣٩٨، ١ / ٢٧٦).

لكن الضمير بطبيعته يفتقر مرجعا يعود إليه، إذ لابد من متقدم ظاهر، وهذا في حال قصر الكلام، أما إذا طال و تعددت المراجع فيه، فإن الإتيان بالضمير يحدث تشتيتا للمتلقي في فهم المعنى، فكان أسلوب العدول إلى الاظهار ضرورة؛ لتأدية وظيفة دلالية مهمة تتلخص في دقة الإحالة، ووضوح المعنى، واستقلالية الفكرة.

ويمكن تلخيص هذه الفوائد الدلالية بالآتي:

أولا : دقه الإحالة ومنع اللبس

تحدث علماء النحو عن عناصر السَّبك التي تسهم بشكل فعال في الكفاءة النصية، فقسموا عناصرها على قسمين كان منها الإحالة، ومن الإحالة: الإحالة بالضمير وقالوا إنه–أي الضمير– وغيرها من عناصر الإحالة تقوم بدور الرابط الذي يربط بينها وبين ما تحيل إليه، متقدما كان أو متاخرا (إيهاب سلامة، ٢٠١٦ ،ص ٢٩٥)

ففي حال طول الكلام وتعدد الأسماء الواردة في السياق، يؤدي الطول بين الضمير ومرجعه إلى تشتيت السامع وتساؤله: لمن العود لهذا الضمير؟

فكان الإتيان بالظاهر؛ لقطع الشك باليقين ولتحديد المقصود بالكلام على وجه الدقّة.

من أمثلته قوله تعالى: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٥٩ ﴾[البقرة: ٥٩]

فتكرار الاسم الموصول أزال أي التباس محتمل، فلو قال: فأنزلنا عليهم، لربما توهم السامع أن العذاب نزل على كلّ القوم الظالمين وغير الظالمين ممن كانوا معهم، فالإظهار أحاله بدقة إلى فئة "الذين ظلموا" مما جعل المعنى في غاية الدقة، فوضع الظاهر مقام المضمر، والاصل : وإنهم في ضلال، لكن أُبرزوا ظاهرين؛ للشهادة عليهم بهذه الصفة الذميمة(السمين الحلبي، ٢/٢٩٤)

ومنه قوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولَا ١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلًا ١٦ ﴾ [المزمل: ١٥– ١٦]

والأصل أن يكون في الرسول المرسل الى فرعون: فعصى الرسول أو فعصاه فرعون؛ لأنّ الرسول المعني واحد وهو موسى عليه السلام، ولذلك عرّفه؛ لسبق ذكره(البيضاوي، ١٤١٨، ٥/٢٥٧)

ولا يخفى لما لهذا العدول في تعيين العاصي وتعيين رسوله من زيادة التشنيع والتقبيح، فأعاد ذكر فرعون مرتين، ليستقر قبحه في الأذهان، وليستحضر كل معاني الجبروت والظلم التي جعلته جديرا بعقوبة (أَخْذًا وَبِيلًا)، ولما في الإظهار من تهويل وتعظيم للجناية ومن ترسيخ العبرة؛ لتكون قاعدة تقرع أسماع المكذبين في كل زمان، وبالأخص من خاطبهم القرأن، وهم كفار قريش الذين ذكرهم مطلع الآيتين، فعاقبه كلّ مكذّب جبار عاصٍ للرسول، الويل والهلاك والبوار.

ومنه قوله تعالى:﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [النور: ٣٦-٣٧]

فالأصل أن يعاد الضمير في قوله : (عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ) فيكون "عن ذكره"؛ لأنه سبق بمذكور يدلّ عليه في قوله: {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} [النور: ٣٦] فالسرّ البياني في التصريح بلفظ الجلالة والعدول إلى الظاهر هو: أمن اللبس؛ لأنّ الضمير يعود إلى أقرب مذكور وهو" البيع"، فأظهر لفظ الجلالة لهذه الغاية، ولنكتة أخرى هي تعظيم شأن الذكر وبيان أن هؤلاء الرجال انشغلوا بأعظم وأجلّ مسمّى– وهو ذكر الله– مما يدلّل على فضلهم ويوضح عظمة المذكور جلّ وعزّ.

ثانيا :استقلال الجملة لتكون قاعدة أو حكمة (التذييل)[1]

ونعني باستقلال الجملة، أن تكون قادرة على الوقوف بمفردها كحكمة أو قاعدة عامة أو مثل يستشهد به دون الرجوع الى السياق الذي ورد فيه بالكناية- أي الإتيان بالضمير- فتربط الجملة بما قبلها، بينما الاسم الظاهر يحررها ويجعلها مستقلة، نحو قوله تعالى:﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ۝٢٧ ﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧]

فأظهر لفظ " الشيطان" في الجملة الأخيرة، وكأنها جملة مستقلة بذاتها تجري مجرى الحكمة أو المثل يضرب في كل زمن للتحذير من كفران النعم، قال تعالى :(وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا)أي لنعمه التي أنعمها عليه جحودا لا يشكره عليها، ولكنه يكفرها بترك طاعة الله وركوب معاصيه، فكذلك من بني آدم المبذرون أموالهم في معاصي الله لا يشكرون الله على نعمه عليهم ويخالفونه ويعصون أوامره.

(الطبري،٢٠٠٠م،١٧/ ٤٣٠)

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف: ٥٣]

فجاء بلفظ "النفس" فأظهر في مقام الإضمار، لتكون الجملة الأخيرة قاعدة وحقيقة مطلقة تنطبق على كل نفس بشرية، وهذا الاستقلال الدلالي جعل هذه الآية مثلا يسير بين الناس لوضوحه؛ ولاكتمال معناه في ذاته، قال صاحب الكشاف في أحد قوليه:

---

[1] وهو تعقيب جملة بجملة أخرى مستقلة، تشتمل على معناها تاكيدا لمنطوق الاولى أو لمفهومها وهو على قسمين: قسم يستقل بمعناه لجريانه مجرى المثل، وقسم لايستقل بمعناه لعدم جريانه مجرى المثل (الهاشمي، ٢٠١٣م، ص٢٦١-٢٦٢)

"..وإما أن يريد به عموم الأحوال أن النفس لأمارة بالسوء، فأراد الجنس أي إن هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات إلا ما رحم ربي ممن اختصه الله بالعصمة كالملائكة"(الزمخشري، ١٤٠٧، ٢/ ٤٨٠)

ومنه قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ١٧ ﴾ [سبأ:١٧] أي "هل يعاقب إلا الكفور"(مجاهد، ١٩٨٩م،ص٥٥٤) وهي تذييل للجملة الاولى، على معنى العقاب كما ذكر مجاهد–رحمه الله– فالكلام خاص بالكافر وليس عامّا يقصد منه المؤمن والكافر على السواء، وهذا ما رجّحه صاحب الكشاف الذي قال: بل لا يجوز أن يراد العموم وليس بموضعه، ألا ترى أنك لو قلت: جزيناهم بما كفروا وهل يجازى إلا الكافر والمؤمن: لم يصح ولم يسد كلاما (الزمخشري،١٤٠٧هـ،٣/٥٥٧)

فالتذييل هنا لا يستقل؛ لأنّ السياق يقتضي عدم استقلاليته لتعلقه بالمعنى الذي سبقه.

ثالثا : وضوح المعنى ببيان عليّة الحكم

قد يستغنى عن الضمير فيعدل عنه إلى الظاهر المكرّر أو المشتق" كاسم الفاعل أو إعادته بمعناه، ففي الحالتين الثانية والثالثة يكون اللفظ مخالفا للأول مع الاتفاق في تعيين المقصود ذاته؛ ليتضح المعنى و العلّة التي انبنى عليها المعنى، ويعدّ هذا اللون من أدقّ وأبلغ درجات الوضوح الدلالي.

فمن أمثلة إعادته بلفظه قول الله تعالى:﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٥٩ ﴾ [البقرة : ٥٣] فأعاد" الذين ظلموا" بدل الضمير لبيان أن الظلم هو سبب عذابهم.

ومن أمثلة عدول الضمير الى الظاهر المشتق كاسم الفاعل نحو قوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الانعام :٥٥]

والمجرمون هم المشركون، فوضع الظاهر موضع المضمر للتنصيص على أنهم المقصودون، ولإجراء وصف الإجرام عليهم. وخص المجرمين من هذه الآية كلها بإيضاح خفي أحوالهم للنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين(ابن عاشور، ١٤٨٤م، ٧/٢٦١)

ومنه قوله تعالى :﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ ﴾ [الكهف:٥١]

أي: وما كنتم متخذهم، فوضع الظاهر موضع المضمر؛ بيانا لإظلالهم وذما لهم (أبو حفص الدمشقي، ١٤١٩، ١٢/٥١٠)

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٠]

والأصل أن يقال: إنا لا نضيع أجرهم، ولو أشير إليهم بالضمير، لكان المعنى واضحا لكن إحالته أضافت معنى جديدا من خلال استخدام المشتق وهذا المعنى الدلالي هو: أن الله لا يضيع أجرهم بسبب إصلاحهم، فالإظهار هنا أعلم السامع علّة الثواب، فكان الفهم واضحا في أن التمسك بالكتاب وإقامة الصلاة هو جوهر الإصلاح.

وإعادته بالمشتق أوبمعناه هو أحسن من إعادته بلفظه كما أشار إلى ذلك صاحب الإتقان(السيوطي، ٢٠٠٧، ص ٤١٨)

قال تعالى:﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾[الحج:٥٣] قوله: (وإنَّ الظالمين) من وضع الظاهر موضع المضمر، إذ الأصل : وإنهم في ضلال، ولكن أبرز الظالمين للشهادة عليهم بهذه الصفة الذميمة (ابن سمين، ٨/٢٩٤)

رابعا: تقرير المعنى وتثبيته في الذهن

لو تأملنا مرور الضمير على السمع لوجدناه خفيفا سريعا، في حين لو كان هذا الضمير اسما ظاهرا لتوقفنا عنده، ولاستشعرنا معناه و استحضرنا صورة المسمى بالكامل، مما له بالغ الأثر في تثبيته وترسيخه.

ففي قوله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٥]

والأصل: ولا يسمعون الدعاء إذا ما ينذرون، لكنّه صرّح بـ (الصمّ) وتجاوز بالظاهر عن ضميره، للدلالة على تصامّهم وسدهم أسماعهم إن أُنذروا؛ ولتثبيت حالهم في الأذهان أنهم كانوا شديدي الإنكار، فصُوّر عدم إصاغتهم لما ينفعهم بالصُم، بيانا بإمعانهم في ركوب الغَي والتخبط في متاهات الضلال.(درويش، ١٤١٥، ٦/٣٢١)

وفي قوله تعالى:﴿ الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾﴾ [الحاقة:١-٣]

كان الأصل –في غير القرآن– أن يقال بعد الحاقة الأولى: ما هي وما أدراك ما هي؟ لكنه عدل عن الضمير إلى إعادة ذكرها؛ تفخيما لشأنها وتعظيما لها؛ لأن ذلك أهول لها، فيستشعر السامع بعظمها وشدّتها، وشدة قرعها كالقارعة التي تقرع الناس بالإفزاع والأهوال؛ تثبيتا لحضورها في الأذهان، وتمكينا لها في النفس، وتخويفا من عاقبة التكذيب بها(الزمخشري،١٤٠٧ ،٤/٥٩٨)

المطلب الثالث: الفائدة البَلاغية: التّوكيد والتّشديد على المعنى

الأصل في الجملة العربية أن يذكر فيها الاسم ظاهرا في أول ذكر له، ثم يُحال عبر الضمير فيما يلحق من أسماء إذا تعلقت بالمذكور نفسه اختصارا ومنعا للتكرار الذي يثقل على أذن السامع، وقد يعمد المتكلم في كلامه العدول عن المُضمر إلى الظاهر الصريح مكررا اللفظ ذاته مما يحدث صدمة أسلوبية خفيفة لدى المتلقي يسميها البعض ب" كسر أفق التوقع"[٢] فقد كان ينتظر الضمير الذي يلطف مروره على الأذن، فأحدث العدول بتكرار الظاهر قرعا ووقعا على النفس. فهو إذن عدول تحكمه قصدية دلالية أبرزها توكيد المعنى وتقريره في ذهن السامع.

[٢] فالعدول ظاهرة اسلوبية تستعمل بنحو مدروس في جملة من المواضع تهدف إلى اتفاق المتلقي عند نقطة معينة يراد منها أن تكون بؤرة دلالية خاصة، وهي تعتمد بشكل كامل على ما تقدمه قواعد اللغة العربية من إمكانات تعبيرية تمكّن المتكلّم من كسر أفق التوقع عند المتلقي ، وذلك عندما يحدث انعطافة تعبيرية مفاجئة تستوقف المتلقي وترشده إلى المعنى المخبوء تحت ذلك التركيب(كاطع،٢٠٢٢م، ١–٢)

فالكناية لا تعمل في العقول عمل الإفصاح والتكشيف، فإذا كان الضمير يعطي إشارة ذهنية إلى العائد عليه، وهذه الإشارة تُحضره في النفس؛ إلا أن قدرا كبيرا من التأثير يظل من نصيب الاسم الظاهر، ولا يستطيع الضمير حمله نيابه عنه؛ لأنه يتوالد حين يقرع اللفظ السمع بجرسه، ففي قوله تعالى:﴿ وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَ﴾[الاسراء: ١٠٥]

كان مقتضى الظاهر في الجمله الثانيه المعطوفة نسقا أن يكون "وبه نزل" ولو كان؛ لأدّى معناه من حيث الدلالة النحوية أو الدلالة المنطقية؛ لكن يبقى لكلمة الحقّ من القدرة على إثارة قدر كبير من الخواطر لا ينهض الضمير بشيء منها (أبوموسى، ٢٤٨) وليس ذلك خاصا بكلمة "الحقّ" ودلالتها الإنسانية الخصبة، وإنما يجري في كثير من الكلمات التي لها في سياق الحديث مكان خاص.

ولهذا كان التوكيد والتشديد على المعنى يحضر في كل الأغراض البلاغية التي ذكرناها والتي سنأتي على ذكرها، وفي القرآن العظيم شواهد كثيرة على هذا المعنى ذكرها المفسرون سابقا ولاحقا وسنأتي على ذكر طائفة منها:

منها ماورد في قوله تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٤٧ ﴾ [الأنعام: ١٤٧]

فقوله تعالى: {ذُو رَحْمَةٍ} : جيء بهذه الجملة اسمية وبقوله {وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُهُ} فعليةً تنبيهاً على مبالغة سعة الرحمة؛ لأن الجملة الاسمية أدلُّ على الثبوت والتوكيد من الفعلية، وهذا التحليل لابد أن يتظافر في قراءة النص لإبراز المعنى، فقوله: {عَنِ القوم المجرمين} يحتمل أن يكون مِنْ وَضْع الظاهر موضعَ المضمر تنبيهاً على التسجيل عليهم بذلك، والأصل: ولا يُرَدُّ بأسُه عنكم.(السمين الحلبي،٥/ ٢٠٩) وهذا التذييل

يؤكد على اتصافهم بهذه الصفة الذميمة فقوله (عن القوم المجرمين) يعمّهم وغيرهم، وهو يتضمن أنهم مجرمون(ابن عاشور،١٩٨٤م، ١٥٤/٨)

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢ ﴾ [التوبة: ١٢]

فقوله (وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ) أي ثلبوه وعابوه، (فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ)وأئمة هي جمع إمام وأصلها "أأممة" كمثال وأمثلة، نقلت حركة الميم إلى الهمزة وأدغمت الميم في الميم، وهو من وضع الظاهر موضع المضمر فمقتضى الكلام أن يقال : فقاتلوهم، وفي عدوله إلى (أئمة الكفر) دلالة على أن من كان بهذه المثابة من الغدر وقلة الوفاء وعدم الحياء، فهو عريق في الكفر متقدم فيه لا يشقّ كافر غباره.(النيسابوري، ١٤١٦هـ، ٣٤٦/٣)

وفي قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠ ﴾

[الحجرات: ١٠] أي كلهم وإن تباعدت أنسابهم وأغراضهم وبلادهم فهم (إخوة)؛ لانتسابهم إلى أصل واحد وهو الإيمان، لا بعد بينهم، ولا يفضل أحد منهم على أحد بجهة غير جهة الإيمان.

ولما كانت الأخوة داعية ولا بد إلى الإصلاح، سبّب عنها قوله: (فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) مضافا إلى المأمورين، للمبالغة في التقرير والتخصيص، وتخصيص الاثنين بالذكر دون الجمع؛ لأن أقل من يقع بينهم الشقاق اثنان، فإذا لزمت المصالحة

بين الأقل، كانت بين الأكثر ألزم؛ لأن الفساد في شقاق الجمع، أكثر منه في شقاق الاثنين(الزمخشري،١٤٠٧هـ،٣٣٦/٤)

فقال واضعاً الظاهر موضع المضمر مبالغة في تقرير الأمر وتأكيده، وإعلاماً بأن المراد بالطائفة القوة لا الفعل في قوله:﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات:٩]

بحيث يكون ذلك شاملاً للاثنين فما فوقهما: {بين أخويكم} أي المختلفين بقتال أو غيره كما تصلحون بين أخويكم من النسب (البقاعي،٣٧٣/١٨)

المبحث الثالث :الأغراض والفوائد البلاغية من وضع الظاهر موضع المضمر وعلاقتها بالسياق

مرّ بنا في المبحثين جملة من الأغراض والفوائد التي كشفت عن جانب من جوانب الإعجاز اللفظي في القرآن الكريم، لكن هذه الأغراض لايمكن أن تفهم بمدلولها العميق إلا من خلال السياق التي وردت فيه، بالتالي سيكون للسياق قدرة على خدمة المعنى والغرض إذ هو بمثابة النهر الذي يعين مصبّه إين يكون.

فالسياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلّم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظراته(ابن القيم،١٩٩٤م،٩/٢-١٠) وفيما يلي اربعة أغراض رئيسة في وضع الظاهر موضع المضمر وأثر السياق في توجيه المعنى:

أولا: الإظهار في سياق التشريف بالإضافة

وقد ورد ذلك كثيرا في القرآن العظيم خاصة إذا كانت الإضافة لاسم الله الجليل(الله) كـ: كتاب الله، روح الله، ناقة الله ، حزب الله ، ففي الأخيرة يقول تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦ ﴾ [المائدة: ٥٦] فالحزب هم الانصار والكلام ههنا عن الولاية، ولايمكن فهم الآية الا إذا فهمنا السياق الذي وردت فيه، ولهذا نجيء بالنص كاملا لنفهم المعنى. إذن كيف حكمنا على أن الغرض من العدول هو التشريف؟ الجواب من خلال السياق.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦ ﴾ [المائدة: ٥٤ – ٥٦]

فالمعنى يبدأ من النداء للمؤمنين في بيان حال الولي ومن يستحق الشرف في نيل الولاية الخاصة في حصرها بقوله(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ) فليس لكم أيها المؤمنون ناصر إلا الله ورسوله والمؤمنون الذين صفتهم ما ذكره تعالى، أما اليهود والنصارى الذين أمركم الله أن تبرأوا من ولايتهم ونهاكم أن تتخذوا منهم أولياء، فليسوا لكم أولياء ولا نُصرَاء، بل(بعضهم أولياء بعض)، فلا تتخذوا منهم وليًّا ولا نصيرًا.(الطبري،٢٠٠٠م، ٤٢٤/١٠) ثم يختم بوصم الشرف والعزّة بإضافة من تولاهم الله إليه بأنهم حزبه وأنصاره تشريفا .

أمّا من حيث الإعراب: فإنّ(وَمَن يَتَوَلَّ) شرط في محل الابتداء ويحتمل أن يكون جوابه(فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ) وبه يحتج من لا يشترط عود الضمير على اسم الشرط إذا كان مبتدءا، وإنما جاز ذلك؛ لانّ المراد بـ(حِزْبَ ٱللَّهِ) هو نفس المبتدأ، فيكون من باب تكرار المبتدأ بمعناه، وفيه خلاف، والتقدير : ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فإنه غالب أو هو غالب، فوضع الظاهر موضع المضمر لفائدة، وهي التشريف بإضافة الحزب إلى الله. (الزمخشري،١٤٠٧هـ،١/٦٤٩)،(السمين الحلبي، ٤/ ٣١٥)،(الدمشقي،١٩٩٨م،٧/ ٣٩٩)،(الالوسي،١٤١٥هـ،٢/٤٠٧).

وسياق التشريف بالإضافة يقابله سياق الذم والتحقيربالإضافة أيضا وذلك في قوله تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [المجادلة: ١٩] فالسياق يتكلم عن ولاية القوم الذين غضب الله عليهم وهم اليهود تولاهم المنافقون، فبدأ السياق يتكلم عن أوصافهم في قوله تعالى﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[المجادلة: ١٤ – ١٧]

إذ توعد المنافقون بالعذاب الشديد في الآخرة بغشهم للمسلمين ونصحهم لأعدائهم من اليهود في جمل كلّها تهديد وترهيب لشنيع فعلهم (أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا)،(فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ)،(أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ) ثم انتهت في وصمهم بأنهم

أنصار الشيطان والسبب ﴿ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٩ ﴾ [المجادلة: ١٩]

وأظهر "حزب الشيطان" مبالغة في ذمّهم وتحقيرهم، وقصر هذه الصفة عليهم، أولئك الذين تقدمت صفتهم في سياق ولاية المغضوب عليهم.

ثانيا: الإظهار بالتكرار في سياق التعظيم أو التهويل أو مدح المذكور أو ذمّه أو للبيان

يعدّ التكرار فنّا من فنون الإطناب في البلاغة العربية، وهو من أهم الأساليب البيانية التي يعتمدها المتكلم لتوجيه مشاعر المتلقي وفكره، فليس حشوا كما يظنه البعض أو ضعفا لغويا، بل هو أداة توظّف لأغراض نفسية ودلالية متعددة بحسب السياق الذي ورد فيه

ففي سياق التعظيم والتفخيم في قوله تعالى﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ١٢ ﴾ [الواقعة: ١٠ – ١٢] كرر لفظ "السابقون" إشارة إلى عظيم قدرهم وعلّو شانهم، بعد أن قسم الناس إلى ثلاثة أصناف قال تعالى﴿ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ٨ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ٩ ﴾ [الواقعة: ٨، ٩] وكرر كل صنف من الأصناف الثلاثة فقال﴿ وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ٧ ﴾ [الواقعة:٧] فأظهر اللفظ وكرّره تاكيدا وتعظيما لشأنهم؛ لأنهم سبقوا إلى

الإيمان والطاعة من غير توان، وقد بلغوا من الفضل غايته التي لاتوصف إلا بإعادة ذكر صفتهم.(الزحيلي، ١٤١٨هـ،٢٤٣/٢٧)

ومثله في التعظيم والتفخيم قوله تعالى: { فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ } [الواقعة: ٨]

ومن أمثلة التكرار في سياق التهويل قوله تعالى: ﴿ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٤﴾

[التكاثر: ٣، ٤] فالسورة بمجملها تتحدث عن هول الموت والقيامة وغفلة بني آدم بقوله :﴿ أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢﴾ [التكاثر: ١ – ٢]

اي شغلكم المباهاة بالأموال والاولاد وكثرتهم عن طاعة الله، حتى أدرككم الموت وأنتم على ذي الحال، فدخلتم المقابر وسكنتموها(القرطبي،١٩٦٤م،١٦٨/٢٠)

فتكرار الجملة هاهنا وعدولها إلى الإظهار ضاعف من مساحة التخويف والتهويل، فعندما ذكر التهديد للمرة الاولى كان مخيفا؛ لكن تكراره جعله مزلزلا لقلوب الغافلين.

ومن **تكرار الكلمة** قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ۝٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ۝٢٢﴾

[الفجر: ٢١، ٢٢] وذلك للتهويل من الحدث فالسياق يتحدث عن مشهد القيامة الذي تتتابع صوره، وأحواله العظيمة لا تتوقف.

ومن أمثلة التكرارفي سياق المدح ما تقدم في السابقون وأصحاب الميمنة على صعيد الاشخاص، وعلى صعيد الأشياء كرّر وسائل النور في قوله جل وعلا :

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ ﴾ [النور: ٣٥]

قال صاحب التحرير والتنوير: "وإعادة لفظ المصباح دون أن يقال: فيها مصباح في زجاجة، كما قال:(كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ) إظهار في مقام الإضمار للتنويه بذكر المصباح، لأنّه أعظم أركان هذا التمثيل، وكذلك إعادة لفظ الزجاجة في قوله:(ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ).(ابن عاشور،١٩٨٤م،٢٣٦/١٨)

إذن تكرار لفظتي المصباح والزجاجة كان لغرض المدح والإشادة بصفاء النور الالهي في قلب المؤمن، فالسياق هنا يتكلم عن نور الله تعالى في سورة حملت ذات الاسم، وإظهار هذين اللفظين دون العود بالضمير؛ تأكيد للمعاني المنبثقة من النص بمجمله، ولا يمكن للضمائر الباهتة أن تعيد إشراق النور وانعكاسه كما الاسم الظاهر.

وفي سياق الذم قال تعالى قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٩ ﴾ [المجادلة: ١٩] وقد مرّ ذكرها .

ومثله قوله تعالى في خواتم سورة النبأ: ﴿ إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ٤٠ ﴾[النبأ: ٤٠] فإظهار لفظ الكافر في سياق عرض الأعمال يوم القيامة، هو من وضع للظاهر موضع المضمر؛ لزيادة الذم ويعني: بما أقدمت يداه من الشّر، وقيل: المرء عام وخصص منه الكافر(الزمخشري،١٤٠٧هـ، ٦٩٢/٤) فالتكرار وإن كان بلفظين مختلفين لكن معناهما واحد بدليل قوله تعالى: ﴿ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ١٨ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ

أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨١، ١٨٢] وقوله: ﴿ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٥٠، ٥١].

وفي سياق التكرار للبيان والإيضاح قوله تعالى:

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴿١٣﴾﴾[الرحمن: ١٣]

وقد تكررت في سورة الرحمن (٣١) مرة، فلم يكن هذا التكرار عبثا ، بل كان للبيان والتقرير، فبعد كل نعمة مستقلة من نعم الله يعاد ذكر الجملة ذاتها؛ لتلفت الإنتباه إلى هذه النعمة المحددة وتطالب سامعيها بالإقرار بها، أي: فباي نعم ربكما يامعشر الجن والإنس تكذبان من هذه الأشياء المذكورة؟ لأنها كلها منعم بها عليكم في دلالتها إياكم على وحدانيته وفي رزقه إياكم ما به قوامكم والوصلة إلى حياتكم (الزجاج،١٩٨٨م،٩٨/٥)

ولهذا ورد في الحديث عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، قال: لمّا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن على أصحابه حتّى فرغ، قال " مَا لِي أَرَاكُمْ سُكُوتًا، لَلْجِنُّ كَانُوا أَحْسَنَ مِنْكُمْ رَدًّا، مَا قَرَأْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ مَرَّةٍ، ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴿١٣﴾ ﴾ [الرحمن: ١٣] إِلَّا قَالُوا: وَلَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعْمَتِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ، فَلَكَ الْحَمْدُ[٣] (الحاكم، باب تفسير سورة الرحمن،٣٧٦٦، ٥١٥/٢)،

ثالثا: الإظهار في سياق التعليل لتوكيد الحكم

[٣] قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرّجاه.

وهنا لابد من التطرّق إلى قاعدة أصولية تجمع بين علم الاصول وعلم اللغة والبلاغة وهي قاعدة" **تعليق الحكم بالمشتق مؤذن بعليّة ما مِنه الاشتقاق**" ويمكن تعريف هذه القاعدة بأنّه إذا ربط حكم شرعي أو قانوني أو عرفي باسم مشتق(كاسم الفاعل مثلا)، فإن هذا يدل بوضوح على أنّ الفعل او الصفة التي أخذ منها هذا الاسم (السرقة، العلم ، الزنا)هي العلّة في تشريع الحكم.

فقوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المائدة: ٣٨] فعلّة قطع اليد إنما وجدت لعلّة السرقة، ولفظ "السارق" مشتق ولكونه مشتق صار هو العلّة في وجوب قطع اليد.
فقوله : والسّارقُ، مبتدأ خبره محذوف، والمعنى حكم السارق والسارقة مما يتلى عليكم، أما قوله فـ(اقْطَعُوا) فهي جملة مبينة لحكمهما، فهما جملتان (السايس،٢٠٠٢م، ص٣٧٢) واظهر لفظ الجلالة، إذ لايصح هنا الإظمار والمعنى في سياق العذاب.

وفي قوله تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤٧]

فقوله (عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ) وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها عليهم بذلك ، والاصل : ولا يردّ بأسه عنكم، فنجد ان الآية تتكلم في سياقها عن التكذيب، وعلق علّة ما سيتعرضونه من العذاب بصفة الإجرام(الدمشقي،١٩٩٨م،٨/ ٤٩٦).

ومثله قوله تعالى : ﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ٥١ ﴾ [الكهف: ٥١] فقوله:(وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا) أي وما كنت متخذ من لا يهدي إلى الحقّ، ولكنّه يضلّ عونا ونصيرا، وضع الظاهر موضع المضمر، إذ المراد بالمضلّين من نفى عنهم إشهاد خلق السماوات، وإنما نبّه بذلك على وصفهم القبيح (السمين الحلبي، ٥٠٨/٧)، فعلّق العلّة من عدم الإتخاذ بأنهم ضُلّال، والسياق يتكلم عن ولاية الله وولاية الشيطان وذريته.والاصل أن يكون: وماكنت متخذهم فأظهر بالمشتق؛ ليبين علية الحكم.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ١٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٣ ذَٰلِكُمۡ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٤ ﴾ [الأنفال: ١٢، ١٤] فسبب إلقاء الرعب :

(ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٣ ذَٰلِكُمۡ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٤) والمعنى ذوقوا ماعجل لكم من النقمة في الدنيا مع ما يحل عليكم في الآخرة من عذاب النار ، ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أن الكفر سبب العذاب العاجل والآجل.(ابن عجيبة،١٤١٩هـ،٢/ ٣١٢) فاظهر المشتق للتغليظ في العلة ولبيان علية الحكم.

٤) **الإظهاربدل الإضمار في سياق التنصيص والتسجيل** ويمكن تقسيم هذه الفقرة على اثنتين :

أ) الإظهار في سياق التنصيص ونعني بالتنصيص جعل الكلام نصّا قاطعا لايحتمل معينين، فالاظهار للتنصيص هو الاستغناء عن الضمير ووضع الاسم الظاهر محله لغاية الدقة والوضوح؛ حتى لايفهم السامع او المتلقي غير المراد. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٥] فالمجرمون هم المشركون وقد وضع الظاهر موضع المضمر للتنصيص على أنهم المراد، ولإجراء وصف الإجرام عليهم، وخصّ المجرمين لأنهم المقصود من هذه الآيات كلها؛ لإيضاح خفي أحوالهم للنبيءوالمسلمين(ابن عاشور،١٩٨٤م، ٧/ ٢٦١)

ب) الإظهار في سياق التسجيل ونعني بالتسجيل تقييد صفة معينة على شخص معين على الأبد بحيث تكون حجة دامغة لا يمكن التملّص منها وغايته الالزام والتوثيق، ومن أمثلته قوله تعالى :﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ﴾ [الفرقان: ٧، ٨]

واراد بالظالمين في قوله(وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ) إياهم بأعيانهم غير أنه وضع الظاهر موضع المضمر، تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوا وهم كفار قريش.

(النسفي،١٩٩٨م،٥٢٧/٢)

ومن الإظهار في سياق التسجيل، قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٠] فالظاهر في قوله (ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا) والاصل: ولا تتبع أهواءهم، فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالتكذيب، وليرتب عليه باقي الآية فيعلم أن المتصف بهذه الصفات لا تكون شهادتهم عند العقلاء مقبولة(النيسابوري،١٤١٦هـ، ١٨٤/٣)

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة الماتعة في أسلوب من أساليب العرب الفصيحة التي طابت بتطوافنا بين أفانين الكتاب العزيز؛ لرصد أسلوب الإظهار موضع الإضمار عند المفسرين، خرجت الباحثة بجملة من النتائج والفوائد ألخصها بالآتي:

١-إنّ العدول من الإضمار إلى الإظهار من أبرز الاساليب البلاغية في القرآن العظيم، لما يحققه من مقاصد بلاغية ودلالية يعجز الإضمار عن أدائها.

٢- الكناية لا تعمل في العقول عمل الإفصاح والتكشيف، فإذا كان الضمير يعطي إشارة ذهنية إلى العائد عليه، وهذه الإشارة تحضره في النفس؛ إلا أن قدرا كبيرا من التأثير يظل من نصيب الاسم الظاهر، ولا يستطيع الضمير حمله نيابه عنه.

٢—إن السياق القرآني يمثل الركيزة الاساسية في تحديد الفائدة البيانية للإظهار، فلا يمكن تعيين الغرض البلاغي لهذا الأسلوب بمعزل عن سياق الآية ومقام الخطاب.

٣-في كل مرّة تقرأ اسما ظاهرا لله تعالى في موضع كان يكفيه الإضمار، فاعلم أن هنالك قصدا بيانيا يهدف إلى إيقاظ القلب، وإشعاره بعظمة الخالق ، وترسيخ صفاته العليا كـ(القدرة والعلم والعزّة..الخ)في نفس المتلقي بطريقة أقوى وأكثر استقلالية من مجرد الإحالة بضمير.

٤-تتنوع الفوائد البيانية للإظهار في مقام الإضمار بحسب تنوع المقام، ومن أبرز هذه الفوائد: التعظيم، والتشريف، والتوكيد، ورفع اللبس والإبهام، والإشعار بعليّة الحكم ،والتسجيل على المخاطب، والتقريع، واستحضار المعنى في ذهن المتلقي.

٥-إن العدول من الإضمار إلى الإظهار يُسهم في تحقيق التماسك النصّي، وتقوية العلاقة بين أجزاء السياق، وإبراز المعنى المراد بصورة أبلغ

٦- إن دراسة هذا الأسلوب يؤكد على تكامل علوم البلاغة والتفسير، وإن فهم الأسرار البيانية للقرآن الكريم لايكتمل إلا بالجمع بين التحليل البلاغي والنظر في التفسير.

التوصيات

١-العناية بالجوانب التطبيقية التي تجمع بين علمي التفسير والبلاغة في تناول الاساليب القرآنية، لما لها من اثر في الكشف عن وجوه الإعجاز البياني.

٢-إعداد دراسة مقارنة بين مناهج المفسرين في توجيه الظواهر البلاغية، وبيان أثر اختلاف مناهجهم في استنباط الدلالات.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الاتقان في علوم القرآن ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، لبنان،الطبعة:الثانية، ذ١٢٠٠٧م
٢. إعراب القرآن وبيانه ، لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت : ١٤٠٣هـ)،دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص ، سورية ، دار ابن كثير ، دمشق – بيروت، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ هـ
٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ
٤. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي (ت: ١٢٢٤هـ)، تحقيق:أحمد عبد الله القرشي رسلان، القاهرة، ١٤١٩ هـ
٥. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، لعبد المتعال الصعيدي (ت ١٣٩١هـ)، مكتبة الآداب، الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م
٦. البلاغة العربية، لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت ١٤٢٥هـ)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م
٧. -تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن عبد الرزّاق الحسينيالملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)،تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، دت دط
٨. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر –

تونس، ١٩٨٤ هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

٩. تفسير آيات الأحكام، محمد علي السايس الأستاذ بالأزهر الشريف، تحقيق: ناجي سويدان،المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ٢٠٠٢م ، دط

١٠. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق،الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ.

١١. تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: ١٠٤هـ)، تحقيق: د. محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م

١٢. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي (ت: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،دار الكتب المصرية ، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٣. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)

١٤. حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، لأبي العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (ت: ١٢٠٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م

١٥. خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، لمحمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة: السابعة،دت دط

١٦. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ) تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق ، دت دط

١٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

١٨. شرح المقدمة المحسبة، لطاهر بن أحمد بن بابشاذ (ت: ٤٦٩ هـ)، تحقيق: خالد عبد الكريم، المطبعة العصرية ، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٩٧٧ م

١٩. على طريق التفسير البياني، د.فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير، بيروت ،لبنان، الطبعة : الأولى ١٤٣٨هـ- ٢٠١٧م

٢٠. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه ، بيروت، الطبعة: الأولى ، ١٤١٦ هـ

٢١. قرينة السياق ودورها في التقعيد النحوي والتوجيه الإعرابي في كتاب سيبويه، إيهاب عبد الحميد عبد الصادق سلامة، رسالة دكتوراة، قسم اللغة العربية، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس،٢٠١٦ م

٢٢. قواعد التفسير عند أبي اسحاق الزجاج (ت ٣١١ هـ) في كتابه معاني القران واعرابه أ. م د.ضحى محمد صالح، مجلة كلية العلوم الاسلامية –الجامعة العراقية العدد(٤٢) المجلد الرابع ١٤٤٧هـ-٢٠٢٦م

٢٣. كسر افق التوقع في النحو العربي دراسة تحليلية دلالية ، قاسم درهم كاطع ، مجلة العميد المجلد:١١، العدد(٤٣) ١٤٤٤هـ-٢٠٢٢م

٢٤. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ

٢٥. اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص سراج الدين عمر الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٧٥هـ). تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م

٢٦. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠.

٢٧. المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ،بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠

٢٨. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)،تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب ، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

٢٩. معاني النحو ، د.فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،الاردن الطبعة: الاولى، د ت

٣٠. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، لعبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح العباسي (ت: ٩٦٣هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب – بيروت، دت دط

٣١. معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم» الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ

٣٢. معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٣٣. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)،دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ

٣٤. مفتاح العلوم، ليوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الحنفي أبو يعقوب (ت: ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م

٣٥.ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (ت: ٧٠٨هـ) دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، دت

٣٦.موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد بن علي بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ)، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون ،بيروت، الطبعة: الأولى ، ١٩٩٦م.

٣٧.النحو الوافي، عباس حسن (ت: ١٣٩٨هـ)، دار المعارف، الطبعة: الخامسة عشرة، دت دط

٣٨.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دت

References:

The Holy Quran

1. **Al-Itqan fi 'Ulum al-Quran** [The Perfect Guide to the Sciences of the Quran], by Jalal al-Din Abd al-Rahman bin Abi Bakr al-Suyuti (d. 911 AH). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Lebanon, 2nd Edition, 2007 CE.
2. **I'rab al-Quran wa Bayanuhu** [The Syntax of the Quran and its Explanation], by Muhyi al-Din bin Ahmad Mustafa Darwish (d. 1403 AH). Dar Al-Irshad for University Affairs - Homs, Syria; Dar Ibn Kathir, Damascus – Beirut, 4th Edition, 1415 AH.
3. **Anwar al-Tanzil wa Asrar al-Tawil** [The Lights of Revelation and the Secrets of Interpretation], by Nasir al-Din Abu Sa'id Abd Allah bin Umar bin Muhammad al-Shirazi al-Baydawi (d. 685 AH). Edited by: Muhammad Abd al-Rahman al-Mar'ashli. Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi, Beirut, 1st Edition, 1418 AH.
4. **Al-Bahr al-Madid fi Tafsir al-Quran al-Majid** [The Extensive Sea in the Exegesis of the Glorious Quran], by Abu al-Abbas Ahmad bin Muhammad bin 'Ajiba al-Hasani al-Anjari al-Fasi (d. 1224 AH). Edited by: Ahmad Abd Allah al-Qurashi Raslan. Cairo, 1419 AH.

5. **Bughyat al-Idah li-Talkhis al-Miftah fi 'Ulum al-Balagha** [The Goal of Clarification for the Summary of the Key to the Sciences of Rhetoric], by Abd al-Muta'al al-Sa'idi (d. 1391 AH). Maktabat Al-Adab, 17th Edition, 1426 AH - 2005 CE.
6. **Al-Balagha al-Arabiyya** [Arabic Rhetoric], by Abd al-Rahman bin Hasan Habannaka al-Maydani al-Dimashqi (d. 1425 AH). Dar Al-Qalam, Damascus; Al-Dar Al-Shamiyya, Beirut, 1st Edition, 1416 AH - 1996 CE.
7. **Taj al-'Arus min Jawahir al-Qamus** [The Bride's Crown from the Pearls of the Dictionary], by Muhammad bin Abd al-Razzaq al-Husayni, known as Murtada al-Zabidi (d. 1205 AH). Edited by: A group of researchers. Dar Al-Hidaya, (n.d., n.e. - no date, no edition).
8. **Al-Tahrir wa al-Tanwir** [Liberation and Illumination: "Liberating the Sound Meaning and Illuminating the New Mind from the Exegesis of the Glorious Book"], by Muhammad al-Tahir bin Muhammad bin 'Ashur al-Tunisi (d. 1393 AH). Al-Dar Al-Tunisiyya lil-Nashr - Tunis, 1984 H. Edited by: Ahmad Muhammad Shakir. Mu'assasat Al-Risalah, 1st Edition, 1420 AH - 2000 CE.
9. **Tafsir Ayat al-Ahkam** [Exegesis of the Verses of Rulings], by Muhammad Ali al-Sayis, Professor at Al-Azhar Al-Sharif. Edited by: Naji Suwaydan. Al-Maktaba Al-Asriyya for Printing and Publishing, 2002 CE, (n.e.).
10. **Al-Tafsir al-Munir fi al-'Aqida wa al-Shari'a wa al-Manhaj** [The Illuminating Exegesis in Creed, Law, and Methodology], by Dr. Wahba bin Mustafa al-Zuhayli. Dar Al-Fikr Al-Mu'asir, Damascus, 2nd Edition, 1418 AH.
11. **Tafsir Mujahid** [Mujahid's Exegesis], by Abu al-Hajjaj Mujahid bin Jabr al-Tabi'i al-Makki al-Qurashi al-Makhzumi (d. 104 AH). Edited by: Dr. Muhammad Abd al-Salam Abu al-Nil. Dar Al-Fikr Al-Islami Al-Haditha, Egypt, 1st Edition, 1410 AH - 1989 CE.
12. **Al-Jami' li-Ahkam al-Quran = Tafsir al-Qurtubi** [The Compendium of the Rulings of the Quran = Qurtubi's Exegesis], by Abu Abd Allah Muhammad bin Ahmad bin Abi Bakr bin Farah al-Ansari al-Qurtubi (d. 671 AH). Edited by: Ahmad al-Barduni and Ibrahim Atfayish. Dar Al-Kutub Al-Misriyya, Cairo, 2nd Edition, 1384 AH - 1964 CE.
13. **Jami' al-Bayan fi Tawil al-Quran** [The Compendium of Clarification in the Interpretation of the Quran], by Muhammad bin Jarir bin Yazid bin Kathir bin Ghalib al-Amuli, Abu Ja'far al-Tabari (d. 310 AH).
14. **Hashiyat al-Sabban 'ala Sharh al-Ashmuni li-Alfiyyat Ibn Malik** [Al-Sabban's Marginalia on Al-Ashmuni's Commentary on the Alfiyya of Ibn Malik], by Abu al-'Irfan Muhammad bin Ali al-Sabban al-Shafi'i

(d. 1206 AH). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut-Lebanon, 1st Edition, 1417 AH - 1997 CE.

15. **Khasais al-Tarakib: Dirasa Tahliliyya li-Masail 'Ilm al-Ma'ani** [Characteristics of Structures: An Analytical Study of the Issues of the Science of Semantics], by Muhammad Muhammad Abu Musa. Maktabat Wahba, 7th Edition, (n.d., n.e.).
16. **Al-Durr al-Masun fi 'Ulum al-Kitab al-Maknun** [The Hidden Pearl in the Sciences of the Protected Book], by Abu al-Abbas, Shihab al-Din, Ahmad bin Yusuf bin Abd al-Da'im, known as Al-Samin al-Halabi (d. 756 AH). Edited by: Dr. Ahmad Muhammad al-Kharrat. Dar Al-Qalam, Damascus, (n.d., n.e.).
17. **Ruh al-Ma'ani fi Tafsir al-Quran al-'Azim wa al-Sab' al-Mathani** [The Spirit of Meanings in the Exegesis of the Great Quran and the Seven Oft-Repeated Verses], by Shihab al-Din Mahmud bin Abd Allah al-Husayni al-Alusi (d. 1270 AH). Edited by: Ali Abd al-Bari 'Atiyya. Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1st Edition, 1415 AH.
18. **Sharh al-Muqaddima al-Muhsiba** [Commentary on the Calculated Introduction], by Tahir bin Ahmad bin Babshadh (d. 469 AH). Edited by: Khalid Abd al-Karim. Al-Matba'a Al-'Asriyya, Kuwait, 1st Edition, 1977 CE.
19. **'Ala Tariq al-Tafsir al-Bayani** [On the Path of Rhetorical Exegesis], by Dr. Fadil Salih al-Samarrai. Dar Ibn Kathir, Beirut, Lebanon, 1st Edition, 1438 AH - 2017 CE.
20. **Gharaib al-Quran wa Raghaib al-Furqan** [Marvels of the Quran and Desirables of the Criterion], by Nizam al-Din al-Hasan bin Muhammad bin Husayn al-Qummi al-Nisaburi (d. 850 AH). Edited by: Sheikh Zakariyya 'Umayrat. Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1st Edition, 1416 AH.
21. **Qarinat al-Siyaq wa Dawruha fi al-Taq'id al-Nahwi wa al-Tawjih al-I'rabi fi Kitab Sibawayh** [The Contextual Clue and its Role in Grammatical Rule-Making and Syntactic Direction in the Book of Sibawayh], by Ihab Abd al-Hamid Abd al-Sadiq Salama. PhD Dissertation, Arabic Language Department, Women's College for Arts, Sciences and Education, Ain Shams University, 2016 CE.
22. **Qawa'id al-Tafsir 'inda Abi Ishaq al-Zajjaj (t. 311 H) fi Kitabihi Ma'ani al-Quran wa I'rabuhu** [Rules of Exegesis according to Abu Ishaq al-Zajjaj (d. 311 AH) in his book Meanings of the Quran and its Syntax], by Asst. Prof. Dr. Duha Muhammad Salih. Journal of the College of Islamic Sciences – Al-Iraqia University, Issue (42), Vol. 4, 1447 AH - 2026 CE.

23. **Kasr Ufuq al-Tawaqqu' fi al-Nahw al-Arabi: Dirasa Tahliliyya Dalaliyya** [Breaking the Horizon of Expectation in Arabic Grammar: An Analytical Semantic Study], by Qasim Dirham Kati'. Al-'Ameed Journal, Vol: 11, Issue (43), 1444 AH - 2022 CE.
24. **Al-Kashshaf 'an Haqaiq Ghawamid al-Tanzil** [The Revealer of the Truths of the Mysteries of Revelation], by Abu al-Qasim Mahmud bin 'Amr bin Ahmad, al-Zamakhshari Jar Allah (d. 538 AH). Dar Al-Kitab Al-Arabi - Beirut, 3rd Edition - 1407 AH.
25. **Al-Lubab fi 'Ulum al-Kitab** [The Core in the Sciences of the Book], by Abu Hafs Siraj al-Din Umar al-Hanbali al-Dimashqi (d. 775 AH). Edited by: Sheikh 'Adil Ahmad Abd al-Mawjud and Sheikh Ali Muhammad Mu'awwad. Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, 1st Edition, 1419 AH - 1998 CE.
26. **Al-Mustadrak 'ala al-Sahihayn** [The Supplement to the Two Authentic Collections], by Abu Abd Allah al-Hakim Muhammad bin Abd Allah bin al-Nisaburi, known as Ibn al-Bayyi' (d. 405 AH). Edited by: Mustafa Abd al-Qadir 'Ata. Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah - Beirut, 1st Edition, 1411 AH - 1990 CE.
27. **Al-Muhkam wa al-Muhit al-A'zam** [The Comprehensive and Greatest Ocean], by Abu al-Hasan Ali bin Isma'il bin Sida al-Mursi (d. 458 AH). Edited by: Abd al-Hamid Hindawi. Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1st Edition, 1421 AH - 2000 CE.
28. **Ma'ani al-Quran wa I'rabuhu** [Meanings of the Quran and its Syntax], by Ibrahim bin al-Sari bin Sahl, Abu Ishaq al-Zajjaj (d. 311 AH). Edited by: Abd al-Jalil Abduh Shalabi. 'Alam Al-Kutub, Beirut, 1st Edition, 1408 AH - 1988 CE.
29. **Ma'ani al-Nahw** [Meanings of Grammar], by Dr. Fadil Salih al-Samarrai. Dar Al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution, Jordan, 1st Edition, (n.d.).
30. **Ma'ahid al-Tansis 'ala Shawahid al-Talkhis** [Institutes of Quotation on the Evidences of the Summary], by Abd al-Rahim bin Abd al-Rahman bin Ahmad, Abu al-Fath al-'Abbasi (d. 963 AH). Edited by: Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid. 'Alam Al-Kutub - Beirut, (n.d., n.e.).
31. **Mu'jam al-Furuq al-Lughawiyya** [Dictionary of Linguistic Differences], by Abu Hilal al-Hasan bin Abd Allah bin Mihran al-'Askari (d. circa 395 AH). Edited by: Sheikh Bayt Allah Bayat, and the Islamic Publishing Foundation. Islamic Publishing Foundation affiliated with the Society of Teachers in Qom, 1st Edition, 1412 AH.
32. **Mu'jam Maqayis al-Lugha** [Dictionary of Linguistic Standards], by Ahmad bin Faris bin Zakariyya al-Qazwini al-Razi, Abu al-Husayn (d.

395 AH). Edited by: Abd al-Salam Muhammad Harun. Dar Al-Fikr, 1399 AH - 1979 CE.

33. **Mafatih al-Ghayb = Al-Tafsir al-Kabir** [Keys to the Unseen = The Great Exegesis], by Abu Abd Allah Muhammad bin Umar al-Razi, known as Fakhr al-Din al-Razi (d. 606 AH). Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi - Beirut, 3rd Edition - 1420 AH.
34. **Miftah al-'Ulum** [Key to the Sciences], by Yusuf bin Abi Bakr bin Muhammad bin Ali al-Hanafi, Abu Ya'qub (d. 626 AH). Vowelized, margin-notated, and commented by: Na'im Zarzur. Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, 2nd Edition, 1407 AH - 1987 CE.
35. **Milak al-Tawil al-Qati' bi-Dhawi al-Ilhad wa al-Ta'til fi Tawjih al-Mutashabih al-Lafz min Ay al-Tanzil** [The Criterion of Interpretation Refuting the Atheists and Deniers Regarding the Direction of Similar Wording in the Verses of Revelation], by Ahmad bin Ibrahim bin al-Zubayr al-Thaqafi al-Gharnati, Abu Ja'far (d. 708 AH). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, (n.d.).
36. **Mawsu'at Kashshaf Istilahat al-Funun wa al-'Ulum** [Encyclopedia of the Dictionary of Technical Terms of Arts and Sciences], by Muhammad bin Ali bin Muhammad Sabir al-Faruqi al-Hanafi al-Tahanawi (d. after 1158 AH). Edited by: Dr. Ali Dahruj. Librairie Du Liban Publishers, Beirut, 1st Edition, 1996 CE.
37. **Al-Nahw al-Wafi** [The Comprehensive Grammar], by Abbas Hasan (d. 1398 AH). Dar Al-Ma'arif, 15th Edition, (n.d., n.e.).
38. **Nazm al-Durar fi Tanasub al-Ayat wa al-Suwar** [Stringing the Pearls in the Correlation of Verses and Chapters], by Ibrahim bin Umar bin Hasan al-Ribat bin Ali bin Abi Bakr al-Biqa'i (d. 885 AH). Dar Al-Kitab Al-Islami, Cairo, (n.d.).